الباب التاسع ـ فيما شوهد من معجزات أفعاله .

أفعال العباد مقدرة : .

إن ا تعالى قدر لعباده أفعالا كما قدر لهم أجساما و آجالا انتهى إلى غاية أعجزهم عن تجاوزها : لتكون أفعالهم مقصورة على عرف مألوف و حد معروف : يتوصلون بها إلى مصالحهم فيعلمون أن ما تجاوزها و خرج عن عرفها من أفعال ا تعالى فيهم لا من أفعالهم فإن أظهرها في أحدهم دل على اختصاصه با تعالى دونهم فكان بها ممتازا و إليه تعالى منحازا ليخص بطاعته إلهية كما اختص بأفعلا لاهوتية فلذلك صارت الأفعال المعجزة شاهدة على صحة النبوة .

معجزة الطعام القليل المتكاثر : .

فمن أعلامه : ما رواه البخاري عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : قلت لجابر بن عبد ا : حدثني بحديث عن رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم سمعته منه أرويه عنك فقال جابر : كنا مع رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم يوم الخندق نحفر فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما و لا نقدر عليه فعرضت في الخندق كدية غليظة لا يعمل فيها الفأس فجئت إلى رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فقلت هذه كدية قد عرضت في الخندق و رششنا عليها الماء .

فقام و بطنه معصب بالحجر فأخذ المعول و المسحاة ثم سمي ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيبا أهيل فلما رأيت ذلك منه قلت : يا رسول ا إئذن لي فأذن لي فجئت إلى امرأتي فقلت : ثكلتك أمك إني رأيت من رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم شيئا لا صبر لي عليه فما عندك قالت عندي صاع من شعير و عناق قال : فطحنا الشعير و ذبحنا العناق و طبخناها و جعلناها في البرمة و عجنا العجين .

ثم رجعت إلى رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية فأذن لي فجئت فإذا بالعجين قد أمكن فأمرتها بالخبز و جعلت القدر على الأثافي ثم جئت إلى رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فشاورته و قلت : عندنا طعيم لنا فإن رأيت أن تقوم معي أنت و رجل أو رجلان معك فعلت .

فقال : ما هو و كم هو ؟ قلت : صاع من شعير و عناق فقال : ارجع إلى أهلك فقل لها : لا تنزع البرمة من الأثافي و لا يخرج الخبز من التنور حتى آتي ثم قال للناس : قوموا إلى بيت جابر فاستحييت حياء لا يعلمه إلا ا تعالى فقلت لامرأتي : قد جاء رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم بأصحابه أجمعين .

فقالت : أكأن سألك كم الطعام ؟ قلت : نعم قالت : ا و رسوله أعلم قد أخبرته بما كان

عندنا فذهب عني بعض ما أجده و قلت لها : صدقت .

و جاء رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فدخل ثم قال لأصحابه : لا تضاغطوا ثم برك على التنور و البرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز و نأخذ من البرمة اللحم فنثرد و نغرف و نقرب إليهم .

فقال رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم : ليجلس على الصحفة سبعة أو ثمانية فلما أكلوا : كشفنا التنور و البرمة فإذا هما قد عادا إلى أملأ مما كانا عليه حتى شبع المسملون كلهم و بقيت طائفة من الطعام .

فقال لنا رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم : إن الناس قد أصابهم مخمصة فكلوا و أطعموا فلم نزل يومنا نأكل و نطعم .

قال : فأخبروني أنهم كانوا ثمانما ئة أو قال مئتين أقل من الثمانمائة و هذا نظير معجزة عيسى عليه السلام في المائدة .

و من أعلامه : [ما رواه مالك بن أنس عن إسحق بن عبد ا بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم أرسلني إلى رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فوجودته في المسجد معه الناس فقمت عليهم .

فقال لي رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم : أرسلك أبو طلحة ؟ قلت : نعم قال : للطعام ؟ قلت : نعم .

فقال لمن معه : قوموا فانطلق و انطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم و ليس عندنا من الطعام ما نطعمهم فقالت : ا و رسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم و أنس معه حتى دخلا فقال رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم : يا أم سليم هلمي ما عندك فجاءت بذلك الخبز فأمر به ففت و عصرت أم سليم عكة لها ثم قال رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم ما شاء أن يقول ثم قال : إئذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة حتى أكل القوم و شبعوا و خرجوا و القوم سبعون أو ثمانون رجلا و المعجز فيه مع إطعام العدد الكثير من الطعام اليسير ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه] .

النبي يدعو أهل الصفة إلى صحفة : .

و من أعلامه : ما رواه أنيس بن أبي يحيى [عن إسحق بن سالم عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فقال لي : ادع لي أصحابك يعني أصحاب الصفة قال

: فجعلت أتبعهم رجلا رجلا أوقظهم حتى جمعتهم فجئنا باب رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فاستأذن فأذن لنا و وضعت بين أيدينا صحفة أظن فيها صنيعا : قدر مد من الشعير فوضع رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم يده فقال : خذوا بسم ا فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا فقال رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم حين وضعت الصحفة : و الذي نفس محمد بيده ما أمسى في آل محمد طعام غير شيء ترونه فقيل لأبي هريرة : قدركم كانت حين فرغتم قال مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع] .

تفجر الماء من البئر الجافة : .

و من أعلامه : [أن رسول ا صلى ا عليه و سلم لما حصل بالحديبية و هي جافة قال للناس : انزلوا فقالوا : يا رسول ا ما بالوادي ماء ننزل عليه فأخرج سهما فدفعه إلى البراء بن عازب و قال : اغرز هذا السهم في بعض قلب الحديبية و هي جافة ففعل فجاش الماء و نادى الناس بعضهم بعضا من أراد الماء ؟ .

فقال أبو سفيان : قد ظهر بالحديبية قليب فيه ماء ثم قال لسهيل ابن عمرو : قم بنا إلى ما فعل محمد فأشرفا على القليب و العيون تحت السهم فقالا : ما رأينا كاليوم قط و هذا من سحر محمد قليل .

فلما أمر رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم بالرحيل قال للناس خذوا حاجتكم من الماء ثم قال للبراء : اذهب فرد السهم فلما فرغوا أو ارتحلوا أخذ البراء السهم فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء] .

و هذا نظير ما أعطي موسى من الحجر الذي انفجرت منا اثنتا عشرة عينا .

و مثله [ما روي أنه في غزوة بني المصطلق دعا بركوة جافة ثم تفل فيها ثم قلبها فتفجرت من بين أصابعه عيون حتى شرب الخيل و الإبل و ملئ كل سقاء] .

تحول الماء المالح إلى زلال : .

و من أعلامه : [أن قوما شكوا إليه صلى ا تعالى عليه و سلم ملوحة مائهم فقام بأصحابه حتى أشرف على بئرهم فتفل فيها ثم انصرف فانفجرت بالماء الزلال و كانت غائرة و إنها على حالها إلى اليوم و يتوارثها أهلها و يعدونها من أعظم مفاخرهم] .

و لما بلغ ذلك قول مسيلمة سألوه مثلها فتفل فيها فصار ماؤها أجاجا كبول الحمار و هي إلى اليوم على حالها .

إصلاح شعر قد تمعط : .

[و جاءته صلى ا تعالى عليه و سلم امرأة بصبي لها قد تمعط شعره فمسح رأسه بيده فاستوى شعره] .

فبلغ ذلك قوم مسيلمة فأتوه بصبي مثله فمسح رأسه فصلع و بقي نسله صلعا إلى وقتنا هذا .

عبور الوادي العميق : .

و من أعلامه : ما رواه علي بن أبي طالب Bه قال : [لما غزونا خيبر و معنا من يهود فدك جماعة فلما أشرفنا على القاع إذا نحن بالوادي و الماء يقلع الأشجار و يهدهد الجبال فقدرنا الماء فإذا هو أربع عشرة قامة .

فقال بعض الناس يا رسول ا العدو من ورائنا و الوادي قدامنا فنزل رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم فسجد و دعا ثم قال : سيروا على اسم ا .

فعبرت الخيل و الإبل و الرجال فكان الفتح و الغلبة له و هذا نظير فلق البحر لموسى] .

طفلة مقتولة تستجيب لنداء النبي : .

نوع آخر من أعلامه : روى الحسن : [أن رجلا جاء إلى النبي صلى ا تعالى عليه و سلم فقال : إني قدمت من سفر لي فبينا بنت خماسية تدرج حولي في وصيفها و حليها أخذت بيدها فانطلقت بها إلى وادي فلان فطرحتها فيه .

فقال النبي صلى ا تعالى عليه و سلم انطلق معي فأراني الوادي فانطلق معه إلى الوادي .

فقال النبي صلى ا تعالى عليه و سلم لأبيها : ما كان اسمها ؟ فقال : فلانة فقال النبي : يا فلانة أجيبي بإذن ا فخرجت الصبية و هي تقول لبيك يا رسول ا و سعديك فقال : لها إن أبويك قد أساءا فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت : لا حاجة لي فيهما وجدت ا خير أب منهما] .

و هذا نظير مافعله عيسى عليه السلام من إحياء الموتى .

إبراء المجذوم و الأبرص : .

و من أعلامه : [أن طفيلا العامري جاء إلى النبي صلى ا تعالى عليه و سلم فشكا إليه الجذام فدعا بركوة ثم تفل فيها و أمره أن يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا] .

[و أتاه حسان بن عمرو الخزاعي مجذوما فدعا له بماء فتفل فيه ثم أمره فصبه على نفسه فخرج من علته كأن لم تكن به قط فرجع و دعا قومه إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم] .

[و أتاه قيس اللخمي و هو من سادات قومه و به برص فتفل عليه فما بقي عليه إلا مقدار الحبة] .

و هذا نظير ما كان من عيسى بن مريم عليه السلام في إبراء الأكمه و الأبرص .

تحويل العرجون إلى مشعل : .

و من أعلامه : ما رواه سعيد بن أبي سعيد [عن أبيه عن أبي هريرة : أن النبي صلى ا تعالى عليه و سلم انصرق ليلة من العشاء فأضاءت له برقة فنظر إلى قتادة بن النعمان فعرفه فقال : يا نبي ا كانت ليلة مطيرة فأحببت أن أصلي معك فأعطاه عرجونا و قال خذ هذا يستضيء لك ليلتك فإذا أتيت بيتك فإن الشيطان قد خلفك فانظر في الزاوية على يسارك

فدخلت فنظرت حيث قال : فإذا أنا بسواد معلق به حتى سبقني و في هذا الخبر معجزات من فعل و قول] .

شفاء العيون المصابة : .

و من أعلامه : [أن أبا قتادة بن ربعي جاءه يوم أحد و قد انقلعت إحدى عينيه و تعلقت على وجهه فقال : يا رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم إن لي امرأة و أخشى أن يقصني هذا عندها فردها رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم إلى موضعها فكانت أحسن عينيه] .

و مثله ما رواه عروة بن الزبير : أن زبيرة أسلمت فأصيب بصرها فقالوا لها أصابك اللات و العزى فرد ا عليها بصرها فقال عظماء قريش : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا إليه زبيرة فأنزل ا تعالى : { وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه } .

شفاء اليد المصابة : .

و من أعلامه : [أن جرهدا أتى رسول ا صلى ا عليه و سلم و بين يديه طبق فأدنى يده الشمال ليأكل و كانت اليمنى مصابة فنفث عليها فما اشتكاها بعد إلى ساعته و أبصر رجلا يأكل بشماله فقال : كل بيمينك فقال : لا أستطيع فقال : لا استطعت فما وصلت إلى فيه بعد و كان كلما رفع اللقمة إلى فيه ذهبت في شق آخر] .

يد الرسول المباركة : .

و من أعلامه : [شاة أم معبد الخزاعية و كانت مجهودة عجفاء و ضراء فمسح رسول ا صلى ا تعالى عليه و سلم ضرعها فدرت لبنا و امتلأت سمنا و بقيت على حالها إلى أن وافاها أجلها] .

[و أهدت له أم شريك عكة فيها سمن فأخذ منه شيئا و رد العكة عليها فلم تزل العكة تصب سمنا مدة طويلة إلى أمثال هذا و نظائره] .

مناقشة معارضي المعجزات : .

فإن قيل : لا يثبت إعجاز النبوات بمثل هذا من أخبار الآحاد فعنه جوابان : .

أحدهما : إن رواة الآحاد قد أضافوا إليه في جمع كثير قد شاهدوه و سمعوا روايه فصدقوه و لم يكذبوه و في الممتنع إمساك العدد الكثير عن رد الكذب كما يمتنع افتعالهم للكذب و لئن جاز اتفاقهم على الصدق مع الكثرة و الافتراق و امتنع اتفاقهم على الكذب فلأن دواعي الصدق عامة متناصرة و دواعي الكذب خاصة متنافرة و لذلك كان صدق أكذب الناس أكثر من كذبه لأنه لا يجد من الصدق بدا و يجد من الكذب بدا .

و الثاني : أنها أخبار وردت من طرق شتى و أمور متغايرة فامتنع أن يكون جميعها كذبا و إن كان في آحادها مجوز فصار مجموعها من التواتر و مفترقها من الآحاد فصار متواتر

مجموعها حجة و إن قصر مفترق أحادها عن الحجة و ا تعالى أعلم